الفلسطيني وحطم هذه الاسطورة وكشف عن زيف ادعاء الصهيونية التي ما قامت الا لتقهر شعبا وتحرمه من حقه في تقرير المصير .

لا شك أن الحركة الصهيونية ادركت منذ اللحظات الاولى من حياتها ان قدرتها على كسب العطف والتأييد تعتمد الى حد كبير على قدرتها على طمس وجود الشعب الفلسطيني واقناع الرأي العالمي بأن الحلم الصهيوني لن يوقع ضحايا ولن يخلق مأساة . وفعلت الحركة الصهيونية ذلك باختلاق سلسلة من الاساطير التي لم تكن بطبيعتها قابلة للتحطيم الا بالسلاح الفلسطيني . وكانت أهم هذه الاساطير هي :

أولا : أسطورة الارض المهجورة : اتخذت الجهود الصهيونية الرامية الى الحصول على عطف وتأييد الرأي العالمي شكل اسطورة مفادها بأن اليهود شعب هائم بلا أرض تأويه وأن فلسطين أرض مهملة بلا شعب يرعاها ، وأن الحركة الصهيونية هي الحل الانساني لشتات الشعب المشرد والارض المهجورة . وتجسدت هذه الاسطورة بالشعار الصهيوني الذي ابتكره اسرائيل زانغويل : « أرض بلا شعب لشعب بلا أرض » . ويظهر أن الحركة الصهيونية احرزت بعض النجاح المؤقت في بث هذه الاسطورة ، بالرغم من غرابة الامر . ويحدثنا الفيلسوف اليهودي مارتن بوبر في هذا الصدد عن ماكس نوردو ، أحد مؤسسي الحركة الصهيونية وساعد هيرتزل الايمن ، الذي وخزه ضميره عندما اكتشف وجود الشعب الفلسطيني فذهب الى هيرتزل وصاح به : « لم أكن أعلم ذلك ... اننا نقترف ظلما » !(٣).

بالاضافة الى هذا المفهوم الحرفي لاسطورة الشعب اللاموجود ، عملت الحركة الصهيونية على بث مفهوم معدل يلتقي معها في الجوهر وان اختلف معها في الشكل ، عندما اعترفت بوجود اناس لا يرتقون الى مرتبة الشعب في فلسطين . وتم تخليد ونشر هذه الاسطورة في وعد بلفور الذي وصف الشعب الفلسطيني بالطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين ، وبالتالي اقر له بحقوق دينية ومدنية ولم يعترف له بالحق في تقرير المصير ، لانه حق يقتصر التمتع به للشعوب .

ثانيا : أسطورة النهر الذهبي : أما الاسطورة الاخرى التي اختلقتها الحركة الصهيونية لاخفاء ضحيتها من اجل تسهيل عملية الحصول على عطف الشعوب وتأييد الدول ، فاتخذت شكل اكذوبة قاسية مفادها أن الحركة الصهيونية تحمل الخير والامل للتعساء من ابناء « الطوائف غير اليهودية » في فلسطين . وقد بدأت هذه المغالطة الصهيونية حياتها في عقل هيرتزل : فأثناء محاولته اقناع القيصر الالماني بتبني الحركة الصهيونية عام ١٨٩٨ رفع له عريضة جاء فيها ان الصهيونية « ستحمل الى هذه البلاد [يعني فلسطين] موارد مالية وعلمية وستعمل على تثمير مساحات واسعة من الارض المهملة في المستقبل القريب . وفي هذا كله زيادة في السعادة والثقافة لاناس كثيرين »(٤). وبلغ حماس هيرتزل لهذه الاسطورة درجة وصف فيها الغزو الصهيوني المزمع لفلسطين بأنه « نهر من الذهب »(٥).

لسنا هنا بحاجة الى اثبات هذا التزوير في أهداف الحركة الصهيونية ومقاصدها . فقد اثبتته الاحداث وعرفه الشعب الفلسطيني والغزوة الصهيونية ما زالت في بداية عهدها ، كما يتضح من رد اللجنة التنفيذية العربية على كتاب باسفيلد الابيض عام ١٩٣٠ عندما قالت : « ليس من سفسطة اعظم من السفسطة القائلة بأن العرب نالوا خيرا من المهاجرة اليهودية ومن حشد اليهود في أراضي البلاد »(٦) .

لا شك أن الحركة الصهيونية ، قبل قيام الدولة اليهودية ومنذ ذلك الحين ، جلبت الى فلسطين نهرا من الذهب . ولكن مما لا شك فيه ايضا انها قصدت لذلك النهر أن